



الرزق مقابل العرق



كل الأيام شقاء

عمال التراحيل بمصر يلتقطون رزقهم من براثن كورونا

مسنون يخشون من تأثير الوباء على فرص العمل وليس الإصابة بالمرض



وباء البطالة يصيب الشباب

إلى عمل سيمينائي بالإسم ذاته عن قدر من المعاناة والسخرية التي عاشها عمل التراحيل في جنى المحاصيل الزراعية، واضطرت بعض السيدات للسفر إلى مدن بعيدة من أجل الإنفاق على أبنائهن وأزواجهن المرضى.

يحمل إقناع عمال التراحيل بالحديث عن حياتهم في خضم وباء كورونا قدرًا من الصعوبة، يقولون إنهم سئموا الحديث الذي لا ينعكس على أحوالهم المالية والمعيشية، بداية من الوجود بالنظر إليهم عبر قرارات رسمية، وحتى مبادرات الفنانين ورجال الأعمال على مواقع التواصل الاجتماعي بدعمهم، لم تنزل من الواقع الافتراضي.

تتمثل الأجيال الجديدة من المهنة قدرا أكبر من المرونة مثل أحمد حسن (25 عامًا) الذي عمل في رفع مواد البناء، معتبرا أن كورونا فرصة من أجل إنشاء رابطة أو نقابة خاصة بهم تدافع عن شؤونهم، يساهمون فيها بجزء رمزي من دخلهم في سن صغيرة على أن تتحمل الحكومة الباقي وتستثمرها بما يقع العمال مع تقدمهم في العمر.

يحمل أحمد كاماة في جيبه خوفا من أن يتعرض إلى الغرامة التي فرضتها الحكومة على من لا يرتديها، ويستخدمها حال دخول مترو الأنفاق أو في المواصلات العامة، ثم يحتفظ بها مجدداً ولا يغيرها إلا بعدما تتسخ تماما، ورغم معرفته بخطورة تلك الممارسات لكنه يعتبر أن ما يخشاه هو التفرغ وليس المرض.

سخر الشباب حينما عرف أن سعر لقاخ كورونا يتراوح بين 50 و70 دولارا، بما يتجاوز الألف جنيه مصري، يقول إن ذلك المبلغ كان سببا في حبس بعض أقاربه في قضايا وصولات أمانة، وحال توفير الحكومة جرعة مجانية لكل المواطنين سيرفض أن يتناولها، فكل ما يريد الحصول على مقابلها نقدا، وليفعل الوباء بجمسه ما يشاء.

لا يعبأ عمال التراحيل بالمرض فما يكابدونه من مشاق أشد أما، كل ما يخافونه هو انحسار الظهر وضعف عضلات الأذن، ووهن الأقدام عن حمل الأثقال، وتداعي الأعضاء طالبة الراحة، لأنها مؤشر على عدم قدرة الجسم على بذل المزيد من الجهد وعجزه عن الوفاء بمتطلبات مصدر الرزق.

يؤكد علي الصعيدي (44 عاما)، أنه لم يتردد قناعا منذ ظهور الوباء بمصر، ففقدته في القدر غير محدود، فحجم الإبتلاء التي عاها في الحياة كبير، ولن يختبره الله بالمزيد منها، وحتى لو أصيب به ومات، فليست بمشكلة عنده، فما عند الله أفضل مما يعيشه في الدنيا.

فقد الرجل ابنه في حادث انقلاب سيارة متجهة قبل نحو عقد أثناء توجهم للعسل بمزارع الفاكهة في منطقة النوبارية، شمال شرق القاهرة، وانقطعت معها أماله في الإنفاق عليه وعلى زوجته، واضطر إلى النزول بحثا عن مصدر رزق.

يتعرض بعض عمال التراحيل المتخصصين في الزراعة إلى حوادث متكررة، فغالبا ما يتم شحن الأعداد الكبيرة منهم في سيارات نقل مكشوفة مخصصة للضخام، وحال انقلابها يكون أمل النجاة محدودا، ومن نجح لا يتلقى أي عون من صاحب العمل، وقد يعيش حياته الباقية عاجزا يقنات من مساعدات منهم قادمون من محافظات الصعيد.

لا يزال هؤلاء العمال يتشككون في فايروس كورونا، رغم إصابة الملايين به عالميا، يقولون لبعضهم إنهم لم يسمعوا عن إصابة أي ممن يعرفونه بمهنتهم، وكل ما يصاب به البعض هو الأم العضلات وقدر من الصداع جراء العمل في الشمس المباشرة، يعتبرون أن أفضل علاج لمواجهةها هو تناول البصل باستمرار.

يشير قدري عطية (55 عاما)، القادم من إحدى قرى الجيزة، إلى أنه يجلس عاطلا بعدما داست قدمه سيارة قبل شهرين، في أعقاب يوم عمل شاق، استمر قرابة 12 ساعة.

لا يبدي الرجل الذي تحمل قدمه المتورمة آثار جرح كبير خوفا من أي مرض مريدا عبارة "كثرة الحزن تعلم البكاء"، فقبل عدة أعوام سقط من سقالة، وقبلها هوت قدمه من سلم فوقه، وفي كل مرة يتحامل على المرض ويعاند الألم. يعتبر العمال التطور التقني عدوهم الأول فقبل سنوات كان العمل والدخل جيدا، قبل أن يتعاظم استخدام الأوثان الضخمة وماكينات الخرسانة الجاهزة والآلات الزراعية المتطورة التي قللت الاعتماد على العنصر البشري.

يقول ثلاثة منهم في نفس واحد "نقاضي 50 جنيها (3.2 دولار) عن اليوم"، وحتى ذلك الدخل الضئيل غير منظم، فكيف نضيف على أنفسنا عبئا جديدا غير أعباء الخدمات والكهرباء والإنفاق على الأسرة.

تبدو مشكلة عمال التراحيل في فرض مقاولي الأفراد (الذين يجمعون العمالة) شروطهم، ففي النهاية يحتاج المقاول أو الزبون ثلاثة لإنجاز مهمته، وتكاليفهم على أي سيارة تفتح بابها أمامهم، لا يعطيهم مساحة للتفاوض، فيضارعون للقفز داخلها، ويقبلون بأي شروط، حتى لا ينفون يومهم بيد خالية الوفاض.

الارتباط بالقدر

لا توجد إحصائية حكومية حول عدد عمال التراحيل، لكن مراكز حقوقية تقدر عددهم بنحو 5 ملايين شخص، يتنوعون بين العمالة الموسمية الزراعية وأعمال البناء والمقاولات، والغالبية العظمى منهم قادمون من محافظات الصعيد.

لا يزال هؤلاء العمال يتشككون في فايروس كورونا، رغم إصابة الملايين به عالميا، يقولون لبعضهم إنهم لم يسمعوا عن إصابة أي ممن يعرفونه بمهنتهم، وكل ما يصاب به البعض هو الأم العضلات وقدر من الصداع جراء العمل في الشمس المباشرة، يعتبرون أن أفضل علاج لمواجهةها هو تناول البصل باستمرار.

يشير قدري عطية (55 عاما)، القادم من إحدى قرى الجيزة، إلى أنه يجلس عاطلا بعدما داست قدمه سيارة قبل شهرين، في أعقاب يوم عمل شاق، استمر قرابة 12 ساعة.

لا يبدي الرجل الذي تحمل قدمه المتورمة آثار جرح كبير خوفا من أي مرض مريدا عبارة "كثرة الحزن تعلم البكاء"، فقبل عدة أعوام سقط من سقالة، وقبلها هوت قدمه من سلم فوقه، وفي كل مرة يتحامل على المرض ويعاند الألم. يعتبر العمال التطور التقني عدوهم الأول فقبل سنوات كان العمل والدخل جيدا، قبل أن يتعاظم استخدام الأوثان الضخمة وماكينات الخرسانة الجاهزة والآلات الزراعية المتطورة التي قللت الاعتماد على العنصر البشري.

هل ستعاود الحكومة إلزام المواطنين بعدم الخروج من المنازل؟ متى تصدر قرارا باستئناف أعمال البناء المتوقفة منذ عدة أشهر؟ هل سيقدّمون لنا منحة المنضرين من كورونا أسوة بغيرنا من القطاعات أم لا؟

سمع الكثير من عمال التراحيل عن منحة الـ500 جنيه (32 دولارا) التي وفرتها الحكومة للعمال غير المنتظمة المتضررة من توقف بعض النشاطات الاقتصادية جراء انتشار كورونا، لكن لم يحصل أي منهم عليها، فغالبيتهم لا يعرف القراءة والكتابة من الأساس، ولا يحملون إلا هواتف تقليدية لم تطرق شبكات الإنترنت أبوابها، وناهوا في تفاصيل مكاتب البريد ومتطلباتها.

لجأ بعض العمال للزبائن الذين يقدمون الخدمات لهم لتسجيل أسمائهم على موقع وزارة القوى العاملة على شبكة الإنترنت، للحصول على المنحة وبعضهم تم تسجيل اسمه ثلاث مرات من قبل أشخاص مختلفين، لكنهم لم يحصلوا على جنيه واحد فنشأ عليهم خدشي غير رسمي، ولدى بعض المسؤولين اعتقاد أنهم يجنون مكاسب كبيرة من تأجير قوة أزرعهم.

أسام مقهى متهاك، يجلس أحمد مصطفى (58 عاما) القادم من محافظة قنا، بجنوب مصر، على مصطبة خرسانية، لا يستطيع الاقتراب من الكراسي الخشبية حتى لا يضطر إلى شراء مشروب من الشاي بكبد 3 جنيهات، ينتظر بفارغ الصبر مقاولا وعده بالاستعانة بخدماته في حمل عدة أمتار من الرمال إلى الطابق الثالث في حارة ضيقة بمنطقة الكيت كات بحي الجزيرة المتاخمة للقاهرة.

يقول الرجل، الذي لم ير أسرته منذ مارس الماضي، أن أهم خبر ينتظره في العام كله حاليا هو استئناف أعمال البناء في المحافظات الذي جعله حاليا يتقلب عن رزقه بإبرة والدخول في معركة مع الوقت لجمع أموال تمكنه من إدخال البهجة على أسرته في عيد الفطر المقبل الذي يحسب الأيام المتبقية عليه من الآن.

أصدرت الحكومة في يونيو الماضي قرارا بوقف إصدار التراخيص الخاصة بإقامة أعمال البناء أو توسعتها أو تعديلها أو تعديلها مع إيقاف استكمال أعمال البناء للمباني الجاري تنفيذها لمدة 6 أشهر بمحافظة القاهرة الكبرى والإسكندرية والمدن الكبرى.

لدى مصطفى كاماة من القماش لا يرتديها إلا في حال إصرار الزبون عليها أثناء اصطحابه في سيارته، بالنسبة له والعجز والوفاء لفئات العمالة غير المنتظمة المحرومين من التأمين عليهم بواقع 9 في المئة من الحد الأدنى لأجر الاشتراك شهريا، على أن تتحمل خزينة الدولة اثنين في المئة من الحد الأدنى لأجر الاشتراك شهريا عليهم بصورة مباشرة.

ماذا يفيد وعي العمال بخطر فايروس كورونا وهم المليون الوحيدون لعائلاتهم، فهم مجبرون على البحث عن يوم عمل رغم خطر الوباء، ولا يخافون إلا من فايروس الفقر الذي يعانون منه منذ ولادتهم، ويزيدهم أما كلما ظلوا يوما أو أياما عاطلين عن العمل.

الإيجار، تجمعهم الظروف ذاتها فلا يملكون مصدر دخل بمقارهم الأصلية، وبعضهم يعمل بالقاهرة بينما تزال الزوجات أعباء مشابهة في تادية خدمات بالأجر في جمع المحاصيل بالمحافظات المجاورة.

الوجوه والأرصفة

تتغير سحنة الجالسين على الرصيف في انتظار الرزق كلما مر الوقت، في الصباح الباكر تملو البعض الابتسامة، وتتضاءل الأمل في أعينهم كلما اقتربت الشمس من الاعتدال بمنتصف السماء، فتلو الظهيرة معناه عدم حضور مقاولين باحثين عن عمالة أو زبائن، وأنهم يطوون يومهم بلا عمل.

يبادر العمال بالأسئلة قبل أن تسالهم عن حياتهم في خضم الوباء، لا ترتبط أي من استفساراتهم بما يشغل العالم من أخبار حول صراع اللقاحات وحصة الدول منها والموجة الثانية للإصابات أو حتى طرق الوقاية، استفساراتهم مادية صرفة، وأسئلتهم المتكررة هي:

أسفل كوبري السيدة عائشة في حي مصر القديمة بالقاهرة، داب السيد اليمني (65 عامًا) على التواجد منذ نحو خمسة عقود، حاملا معه معداته التقليدية التي يعتبرها الدعاية الوحيدة عن مهمته، لم يعنا يوما بالأخبار المنتشرة حول كورونا أو مطالبه الإدارات الصحية بارتداء الأقنعة، فلا رفاهية لمن يعيش حياته يوما بيوم أن يمكث في المنزل ويهنا بالراحة.

يجلس الرجل بجوار العديد من العاملين في مهنة متلاصقين، يقسم معهم لقمة الخبز، ويرتشف معهم من كوب الشاي ذاته الذي يوزع أحيانا على ثلاثة، ويشرب من زجاجة مياه بلاستيكية واحدة بهت لونها من كثرة الاستخدام، ينظرون شزرا المناق متحركة تتبع الأتعة والمطهرات الكحولية بالقرب من مكان جلوسه المعتاد، ويعتبرها ترفا لا يستطيع الوفاء به.

يقول اليمني، الذي لا يعود لأسرته المكونة من 6 أبناء وأهم محافظة سوهاج بجنوب مصر، إلا في المناسبات، إنه لا يمكنه إنفاق أموال على تطهير يديه أو أدواته، فالأفواه الجائعة التي يطعمها تحتاج إلى كل ما يكسبه، والجنهتان ونصف (15 سنتا) ثمن القناع ربما يحتاجها غذا في شراء طعام إفطاره، فطلبات المعدة أهم من مخاوف كورونا.

كل ما يخشاه العجزو تأثير الوباء على فرصة في العمل وليس الإصابة بالمرض، فمذ ظهر كورونا تضرر العاملون في التراحيل بصورة قاسية، مع تاجيل أصحاب الوحدات السكنية مخططات تغيير ديكور منازلهم أو إحداث تغيير بأرضياتها، وخشيتهم من دخول غرباء منازلهم فرما يكونون حاملين للوباء.

يقدم عمال التراحيل، وغالبيتهم قادمون من قرى شديدة الفقر في صعيد مصر، في غرف مشتركة تجمع الواحدة منها بين 5 و8 أشخاص لتقليل أعباء

محمد عبدالهادي
صحافي مصري

مع فجر كل يوم، ينتشر عمال التراحيل في بعض ميادين القاهرة، يفترسون الارصفة في سكون أمام مطرقاتهم وأعمدتهم الحديدية الغليظة، لا يعابون بقلق الكثيرين من فايروس كورونا، أو إمكانية تعرضهم للعدوى والإصابة، فتركيزهم منصب على السيارات المارة أمامهم، يحدقون فيها عن زبون يسخر قوة أزرعهم.

يحمل عمال التراحيل مسمى شعبيا آخر ينطبق على الجهود البدني الشاق لمهنتهم "الفاعولية"، ويرتبطون مع الشقاء بزواج كاثوليكي لا طلاق منه، فمهنتهم ظلت متلازمة مع "السخرية" ووبدا لم يتغير منذ قرون "العرق مقابل الرزق".

أسفل كوبري السيدة عائشة في حي مصر القديمة بالقاهرة، داب السيد اليمني (65 عامًا) على التواجد منذ نحو خمسة عقود، حاملا معه معداته التقليدية التي يعتبرها الدعاية الوحيدة عن مهمته، لم يعنا يوما بالأخبار المنتشرة حول كورونا أو مطالبه الإدارات الصحية بارتداء الأقنعة، فلا رفاهية لمن يعيش حياته يوما بيوم أن يمكث في المنزل ويهنا بالراحة.

يجلس الرجل بجوار العديد من العاملين في مهنة متلاصقين، يقسم معهم لقمة الخبز، ويرتشف معهم من كوب الشاي ذاته الذي يوزع أحيانا على ثلاثة، ويشرب من زجاجة مياه بلاستيكية واحدة بهت لونها من كثرة الاستخدام، ينظرون شزرا المناق متحركة تتبع الأتعة والمطهرات الكحولية بالقرب من مكان جلوسه المعتاد، ويعتبرها ترفا لا يستطيع الوفاء به.

يقول اليمني، الذي لا يعود لأسرته المكونة من 6 أبناء وأهم محافظة سوهاج بجنوب مصر، إلا في المناسبات، إنه لا يمكنه إنفاق أموال على تطهير يديه أو أدواته، فالأفواه الجائعة التي يطعمها تحتاج إلى كل ما يكسبه، والجنهتان ونصف (15 سنتا) ثمن القناع ربما يحتاجها غذا في شراء طعام إفطاره، فطلبات المعدة أهم من مخاوف كورونا.

كل ما يخشاه العجزو تأثير الوباء على فرصة في العمل وليس الإصابة بالمرض، فمذ ظهر كورونا تضرر العاملون في التراحيل بصورة قاسية، مع تاجيل أصحاب الوحدات السكنية مخططات تغيير ديكور منازلهم أو إحداث تغيير بأرضياتها، وخشيتهم من دخول غرباء منازلهم فرما يكونون حاملين للوباء.

يقدم عمال التراحيل، وغالبيتهم قادمون من قرى شديدة الفقر في صعيد مصر، في غرف مشتركة تجمع الواحدة منها بين 5 و8 أشخاص لتقليل أعباء